اعلم ـ وفقك الله ـ أن هذا الكتيب لم يوضع لِيُكثر محفوظك من الألفاظ فحسب، ولا ليجعلك تتعلم العربية بغير تعب، ولا ليغنيك عن شيخٍ أو قراءةٍ أو سماع، وإنما وُضع ليعينك على باب من أعظم أبواب العربية، وهو باب الألفاظ واستعمالها.

وكثير من الناس يظن أن معرفة الكلمة هي معرفة معناها العام، فيقال له: النقع هو الغبار، والبتر هو القطع، والجيد هو العنق، ثم يُظن أنه قد عرف هذه الألفاظ. وليس الأمر كذلك؛ فإن من عرف أن النقع غبارٌ ثم لم يدر متى تستعمله العرب، ولا في أي

موضع تذكره، ولا بأي الألفاظ يُصاحب، لم يعرف من الكلمة إلا الشيء اليسير.

فالعربية ليست ألفاظًا محفوظة في الذهن، وإنما هي معانٍ وصورٌ وهيئاتٌ واستعمالات. والكلمة الحية ليست هي التي يحفظ تعريفها، بل التي تراها في موضعها فتعرفها.

فإذا رأيت الخيل تعدو وتثير الغبار الساطع بحوافرها، ثم قرأت قوله تعالى: {فأثرن به نقعًا}، علمت أن النقع ليس أي غبار، بل غبارًا مخصوصًا له هيئة مخصوصة. وإذا رأيت رجلًا يحرك رأسه الحركة التي ذكرها القرآن، ثم قرأت قوله تعالى: {فسينغضون إليك

رؤوسهم}، أدركت معنى الإنغاض إدراكًا لا تؤديه عشرات التعريفات. وإذا رأيت إنسانًا قد انزوى ما بين حاجبيه وتغير وجهه، دريت معنى التقطيب. وإذا رأيت طفلًا يتهيأ للبكاء قبل أن يبكي، عرفتَ معنى الإجهاش.

ولهذا كان القدماء يخرجون إلى البوادي، ويسمعون كلام العرب، ويرون أفعالهم وأحوالهم، فتلتصق الألفاظ بالمعاني في نفوسهم. وأما نحن فقد يسَّر الله لنا ما لم يتيسر لهم من الصور والمقاطع والوسائل، فلا حرج أن نستعين بها حيث تنفع، فإن المقصود هو فهم المعنى كما استعملته العرب.

واعلم أن هذا الكتيب مبني على ثلاثة أركان، المعنى والشاهد والمتصاحبة.

فأما المعنى فليس المقصود به المعنى العام الذي تذوب فيه الفروق بين الألفاظ، بل المعنى الذي يميز الكلمة من غيرها بقدر ما يتيسر للمتعلم. فكثير من الألفاظ يجمعها معنى كلي واحد، ثم تختلف في الهيئة أو الكيفية أو الاستعمال. فالبتر والبتك كلاهما قطع، ولكن العرب لا تستعملهما استعمالًا واحدًا. والنحر والذبح كلاهما قتل للحيوان، غير أن لكل واحد منهما موضعًا وكيفية.

فأما الشاهد فذلك لأن الكلمة لا تُعرف حق المعرفة حتى تُرى في كلام العرب. ولهذا كانت مادة هذا الكتيب مأخوذة من القرآن والحديث والشعر وكلام الفصحاء، لا من المعاجم وحدها. فإن الشاهد يريك الكلمة وهي تعمل في موضعها الذي وضعت له.

وأما المتصاحبات اللفظية فهي من أهم ما يُلتزم في هذا الكتيب؛ لأن كثيرًا من المتعلمين يعرف الكلمة ولا يحسن استعمالها. فإذا حفظت أن النقع غبار، ثم لم تعلِّم نفسك أن العرب تقول: "أثارت الخيل نقعًا"، بقيت الكلمة بعيدة عن لسانك. أما إذا حفظت

استعمالها مع ما يصاحبها من الألفاظ، قربت من السجية وصار استدعاؤها أيسر.

واعلم أن المقصود من هذا كله ليس جمع أكبر عدد من الكلمات، بل أن تصيِّر الكلمة من معلومة إلى سجية، ومن تعريف إلى استعمال، ومن شيء تقرؤه في المعجم إلى شيء يخطر ببالك إذا رأيت معناه.

ولهذا فإني أوصيك ألا تكثر على نفسك. خذ خمس كلمات في اليوم لا تزد عليها. فإن وجدت عندك فضل وقت، فلا تنتقل إلى كلمات جديدة، بل ازدد نظرًا في الكلمات نفسها: ابحث عن

شواهد غير الذي وجدت، وتأمل استعمالاتها واستقرأ جذرها، وانظر في متصاحباتها، واستعملها في كلامك وكتابتك.

ثم اجعل لك دفترًا للإنشاء، واكتب فيه أخبارك ورسائلك وقصصك وما شئت من الكلام، وحاول أن تستعمل فيه ما تعلمته من ألفاظ. فإن الكلمة التي لا تستعملها يوشك أن تنساها، والكلمة التي تستعملها مرارًا تصير جزءًا من لسانك.

واعلم أخيرًا أن هذا الكتيب ليس يغني عن السماع والقراءة لكتب الأقدمين، وإنما هو معين عليه. فمن أراد العربية حقًا فعليه أن يسمع كلام الفصحاء، ويقرأ كتب المتقدمين، ويلازم أهل

العلم، ويكثر من الاستعمال. وإنما هذا الكتيب أداة تعينك على بناء الثروة اللفظية بناءً صحيحًا، حتى لا تكون الألفاظ عندك معلومات عن اللغة، بل تكون لغةً حيةً تجري على لسانك وتدور في خاطرك كما جرت على ألسنة العرب.

فإن قلتَ يا أيها العامي ويا أيها المتأدب أنك تكتب كثيرًا ومع ذلك أنت ما تتكلم الفصحى، وتريد أن تدخل هذه الكلمات في كلامك. فأقول لك عندي سبيل ليست بذاك الحُسن، وإنما هي أحسن من اللاشيء، وهو أن تأتي بالكلمات الغريبة، فتتكلم بها في عاميتك وبصوتيات عاميتك وقواعدها، فإن كانت لهجتك تكسِرُ

حروف المضارعة فتقول: "تِلعب" في مكان "تَلعب" فاتبع هذه القاعدة في الكلمات التي على نفس الوزن، وقس على هذا.

فإن أصبت فالحمد لله وإن أخطأت فغفرانك ربي وإليك المصير.